

Approach to Reform and Change in Surah Al-Fath

Mustafa Mohammed Ali¹, Idris Qadir Hamad Amin²

¹Erbil Central Education- Ministry of Education, ²College of Islamic Sciences, Salahaddin University - Erbil

DOI: <https://doi.org/10.31918/twejer.2692.11>

Published: 5/4/2026

Abstract

Surah Al-Fath offers a distinctive Qur'anic framework for reform, integrating theological, moral, political, educational, and social dimensions. It opens with the glad tidings of a decisive victory, emphasizing that success is achieved only through divine guidance—thus reinforcing reliance on Allah alongside practical effort. The surah promotes internal reform by affirming belief in God's will and justice, instilling confidence and resilience in the hearts of believers. It highlights the role of visionary leadership, as embodied by the Prophet Muhammad (peace be upon him), who led with wisdom, mercy, and strategic foresight—most notably during the Treaty of Hdaybiyyah and the Pledge of Ridwan. Though appearing as a concession, the treaty was deemed a “clear victory” by God, reflecting a deeper vision for long-term stability. Surah Al-Fath teaches that meaningful change is not measured by immediate gain, but by building enduring structures for peace. Socially, it calls for clarity within the Muslim ranks by exposing hypocrisy and rewarding sincerity, thus fostering a unified, truthful community. Ethically and educationally, the surah underscores core values: strengthening faith, obedience to Allah and His Messenger, commitment to justice, patience, truthfulness, honoring agreements, and promoting peace and tolerance. It also stresses the importance of perseverance and forgiveness as markers of civilized, peaceful reform. Altogether, Surah Al-Fath presents a holistic model of transformation that balances spiritual conviction with ethical and political maturity—laying a foundation for empowerment and sustained progress.

Keyword: Strengthening faith, victory, gradual change, Methodology, Change

منهج الإصلاح والتغيير في ضوء سورة الفتح

ملخص:

تقدّم سورة الفتح نموذجًا قرآنيًا متميزًا للإصلاح، يدمج بين الأبعاد العقديّة، الأخلاقية، السياسية، التربويّة، والاجتماعية. تبدأ السورة بالبشارة بالفتح المبين، مؤكدة أن النصر لا يتحقق إلا بتوفيق من الله، مما يعزّز مبدأ التوكل مع الأخذ بالأسباب.

ترسخ السورة الإيمان بقضاء الله وعدله، وتغرس في نفوس المؤمنين الثقة واليقين لمواجهة التحديات. وتبرز أهمية القيادة الراشدة، كما تجلّت في سيرة النبي محمد ﷺ، الذي قاد الأمة بالحكمة والرحمة وبُعد النظر، لاسيما في صلح الحديبية وبيعة الرضوان، حيث وصف الله ذلك بالفتح العظيم على الرغم من أنه بدا كتنازل في الظاهر.

تعلّمنا السورة أن التغيير الحقيقي لا يُقاس بالمكاسب الآنيّة، بل ببناء أسس دائمة للسلم والاستقرار. وعلى المستوى الاجتماعي، تدعو إلى إصلاح العلاقات الداخلية، عبر فضح نفاق المنافقين وتثبيت صفوف الصادقين، مما يعزز وحدة الجماعة المؤمنة.

من الناحية التربوية والأخلاقية، تركز السورة على تقوية الإيمان، وطاعة الله ورسوله، والالتزام بالصدق والصبر، وإقامة العدل، والوفاء بالعهود، ونشر قيم السلام والتسامح. كما تؤكد أهمية الصبر والعفو، باعتبارهما من ركائز التغيير السلمي والحضاري.

وبهذا، ترسم سورة الفتح منهجًا إصلاحيًا شاملاً، يوازن بين العقيدة والسلوك، والتربية والسياسة، لبناء مجتمع متماسك، مؤمن، ومؤهل للتمكين والتقدم المستدام.

الكلمات الافتتاحية: ترسيخ الإيمان، الفتح، التدرج في التغيير، الإصلاح، المنهج.

المقدمة:

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، أبدع خلق الإنسان، و وهبه العقل واللسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على خير المصلحين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين. القرآن العظيم ، هو رسالة عالمية لكل زمان ومكان وهو كتاب يهدي إلى الأقوم وإلى الرشاد ، من عاش معه وتدبره ذاق طعم الإيمان والحياة، يعيش باطمئنان وسرور وهادئ البال ، لذلك تمسك به أولو الألباب و كل من له قلب سليم ، وارتفع من شأنهم ، قال تعالى : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة : 11].

لا شك أن صلاح هذه الأمة يأتي بتمسك واتباع منهج الله سبحانه وتعالى ، الفوز والفلاح في الاحتكام إلى هذا المنهج الرباني ، لكي نعود إلى القيادة والسيادة العالم مرة أخرى ، يجب أن نعالج أمراض وعلل هذه الأمة التي ضعفت و اهتزت مكانتها بتمسك بمنهج الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم .

إن صلاح هذه الأمة يأتي بتغيير من الداخل ، وتوجيه الأمة نحو منهج الصحيح منهج الإصلاح والتغيير القرآني ، حتى يعود لنا المجد والعزة ، والقيادة والكرامة، ولذلك قال سبحانه تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد : 11]

وقد اختار الباحث الكتابة تحت العنوان: ﴿ منهج الإصلاح والتغيير في سورة الفتح ﴾ لأهمية ذلك في حياة الأمة الإسلامية، و تعدُّ سورة الفتح من السور القرآنية التي تحمل في مضمونها منهجاً شاملاً و متكاملًا للإصلاح والتغيير، إذ تناولت أبرز أحداث في تاريخ الدعوة النبوية، ورست مبادئ وأسس الثبات والاعتماد على الله، مع التركيز على أسباب النصر والتمكين. عبر دراسة موضوعية لمنهج الإصلاح والتغيير لسورة الفتح المباركة، يتبين المنهج القرآني في تطبيق الإصلاح والتغيير في المجتمع على المستويات الفردية والجماعية، حسب رؤية متكاملة تشمل الجوانب المختلفة

يهدف هذا البحث إلى بيان المرتكزات الأساسية لهذا المنهج، وكيف شاركت تعليمات و توجيهات سورة الفتح في بناء مجتمع حضاري متطور متماسك بمنهج القرآن الكريم ، وتحديد المعارف التي يجب أن يلتزم بها الساعون إلى الإصلاح والتغيير الإيجابي في كل زمان ومكان. وكذلك أظهر الدروس والعبر المستفادة من آياتها، واستكشاف ملائمتها وكيفية تطبيقها في العصر الحاضر ، وفي كل زمان ومكان .

فأسأل الله تعالى أن يوفقنا لفهم كتابه العظيم وأن يجعل هذا العمل صواباً وخالصاً له قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 18].

ونسأل الله التوفيق فإنه خير معين .

أولاً: أهمية الدراسة:

- 1 - تعلق موضوع البحث بأشرف الكتب وأعظمها ألا وهو القرآن الكريم.
 - 2 - نفهم عبر دراسة هذا الموضوع أن القرآن الكريم يصلح لكل زمان ومكان، وذلك لشموليته مواضيع تتناسب العصر والتطورات 3 – تظهر أهمية البحث في الموضوعات ذات أهمية في سورة الفتح من جانب عقائدي وأخلاقي وتربوي واجتماعي وسياسي.
 - 4 - أشرف العلوم وأعظمها التعامل مع النص القرآني ونتدبر آياته ونتأمل ونتفكر في النصوص القرآنية لنفهم المكنون فيها.
 - 5 - البحث يعالج كثير من الأزمات والصعوبات التي تعاني منها الأمة الإسلامية.
- ثانياً: أسباب اختيار البحث :

- 1 - المشاركة في علم ينفع وينير طريق الراغبين في الوصول إلى بر الإسلام.
- 2 - بيان منهج الإصلاح والتغيير الذي اشتملت عليه سورة الفتح.
- 3 - القيام بوظيفة الأنبياء والمرسلين لإصلاح الجانب السلبي في السلوك والمعاملة مع الناس ، وإرشاد الناس إلى أخذ منهج الإصلاح والتغيير.
- 4 - من أجل عودة المسلمين إلى القيادة والسيادة نحتاج إلى الإصلاح والتغيير أشد الحاجة.
- 5 - حاجة المسلمين إلى منهج الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم من أجل إصلاح الداخلي والخارجي للمجتمعات الإسلامية.
- 6 - خدمة كتاب الله وذلك في دراسة أحد مواضيعه والكتابة عنها.

ثالثاً: أهداف البحث :

- 1 - ابتغاء الرضى والثواب من الله سبحانه وتعالى في الدارين.
- 2 - إرشاد الأمة الإسلامية إلى التمسك بكتاب الله من أجل حل مشاكلهم وانتصارهم على أعدائهم.
- 3 - تسليط الضوء على ضرورة اهتمام بهذا الموضوع ، لإنقاذ الأمة الإسلامية.
- 4 - إعطاء الأمل للدارسين، وطلبة العلم الشرعي ، وذلك في ضوء التوصيات التي ستخرج بها الباحث في خاتمة البحث بعون الله تعالى .
- 5 - إظهار الحقيقة أن القرآن الكريم هو مصدر لأفضل مناهج الحياة ويعالج كل ما يعانيه البشرية.
- 6 - معرفة حكمة النبي عليه السلام في السلم والحرب في ضوء هذه السورة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث في الدراسات السابقة تبين أنه لم يكتب في هذا الموضوع بشكل مستقل ، إلا أنه موجود في ثنايا الكتب كما أن الأستاذ الدكتور/ صلاح الدين سلطان ألف في منهجيات التغيير والإصلاح في السور التالية : (الكهف ، يوسف ، الصف ، الملك ، الفجر) و علا أحمد العجوري كتبت منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي : (الإسراء ، الكهف) بشكل مستقل ، ولم أجد أي رسالة علمية تحمل هذا الاسم : (منهج الإصلاح والتغيير في سورة الفتح : دراسة موضوعية) ، وقد شرفني في إرساء لبنة في هذا المشروع القرآني، فجاءت قضية بحثنا جديدة في السورة المختارة لها ، قديمة في فكرتها ، والله المستعان. خامساً: منهج البحث :

اعتمد الباحث على منهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي حسب منهجية التفسير الموضوعي وذلك عبر ما يلي :

- 1- عزو الآية في المتن بعد ورودها مباشرة، وذلك لتجنب إثقال الحواشي.
 - 2 - الاستدلال بالأحاديث النبوية ، والآثار التي تخدم البحث وعزوها إلى مظانها حسب ضوابط التخريج وأصوله .
 - 3 - استنباط منهجيات مناسبة لكل مقطع من مقاطع السورة التي فيها منهجيات.
 - 4 - وضع الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين والأحاديث بين قوسين () ، والاقتباسات بين شاولتين " .
 - 5 - ربط الآيات بالواقع وتحليلها تحليلاً عميقاً موضوعياً .
 - 6 - توثيق المراجع في الحاشية بذكر اسم المؤلف و اسم الكتاب مع اسم المحقق و دار الناشر والطبعة مع رقم الجزء والصفحة في الحاشية ويتم التفاصيل في الفهرس.
 - 7 - الرجوع إلى المصادر القديمة والحديثة في التفسير.
 - 8 - مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.
 - 9 - في حالة الاقتباس من نفس الكتاب بعده مباشرة، كتبت المصدر السابق ، ورقم الجزء حال وجوده ، ورقم الصفحة.
 - 10 - إبراز الموضوع الرئيس بما يمثل المحور الأساس للسورة.
 - 11 - ترتيب المصادر والمراجع في مجموعات حسب الأحرف الأبجدية.
 - 12 - عمل الفهارس اللازمة والتي تخدم البحث وتسهل الوصول للمعلومات.
- سادساً: خطة البحث :

وقد اشتملت خطة البحث على مقدمة ، و خمسة مباحث و خاتمة و فهارس:

المبحث الأول: مفهوم المنهج و الإصلاح والتغيير

ويشتمل على مطلب واحد :

المطلب الأول: تعريف المنهج والإصلاح والتغيير

المبحث الثاني: منهج الإصلاح والتغيير العقدي في سورة الفتح.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : التوحيد وتعزيز الإيمان بوعده الله.

المطلب الثاني : الطاعة المطلقة لله ورسوله.

المبحث الثالث : منهج الإصلاح والتغيير الاجتماعي والأخلاقي في سورة الفتح.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : الإصلاح الأخلاقي في السلوك والمعاملات.

المطلب الثاني : الإصلاح الاجتماعي عبر التضامن والوحدة.

المبحث الرابع : منهج الإصلاح والتغيير التربوي في سورة الفتح.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : صفات النبي وأصحابه.

المطلب الثاني : دور الطاعة والولاء للنبي في تحقيق الإصلاح والتغيير التربوي.

المبحث الخامس : منهج الإصلاح والتغيير السياسي في سورة الفتح.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : التعامل مع قوة المعارضة.

المطلب الثاني : أسباب النصر.

المبحث الأول

مفهوم المنهج والإصلاح والتغيير

ويشتمل على مطلب واحد :

المطلب الأول : تعريف المنهج والإصلاح والتغيير

المطلب الأول

تعريف المنهج والإصلاح والتغيير

أولاً: تعريف المنهج:

1- المنهج في اللغة :

كلمة (المنهج) مشتقة من الجذر اللغوي (نهج)، الذي يعني الطريق الواضح و المحدد. يُقال (نهج الطريق) أي أوضحه و سَهَّله، و يُستخدم المصطلح للدلالة على المسار أو السبيل الذي يتبعه الإنسان للوصول إلى هدف معين (1)

2- المنهج في الاصطلاح :

يُعرف المنهج اصطلاحاً بأنه مجموعة من القواعد و الخطوات التي يتم اتباعها للوصول إلى هدف معين، سواء في البحث العلمي، أو التربوية، أو تفسير النصوص الدينية. و يتضمن المنهج مبادئ منظمة تساعد على تحقيق الاستنتاجات الصحيحة و وفقاً للأسس العلمية أو الفقهية. (2)

ثانياً : مفهوم الإصلاح :

1 - الإصلاح في اللغة :

الإصلاح وهي كلمة مأخوذة من الجذر الثلاثي (صلح)، فالصاد والام والحاء هو أصل واحد يدل على إزالة الفساد، و يقال صلح و يَصْلُحُ صلاحاً و صُلُحاً، والجمع صُلُحاء. و رجل صالح في نفسه من قوم صُلُحاء، و مُصْلِح في أعماله، وأموره و قد أصلحه الله، و يقال هذا الشيء يَصْلُحُ لك، و نقيضها الإفساد. (3)

2 - تعريف الإصلاح اصطلاحاً :

تعددت آراء العلماء في معنى الإصلاح اصطلاحاً نورد منها بعض التعريفات الآتية :

عرفه البقاعي : " هو إستقامة الحال على ما يدعوا إليه العقل والشرع ". (4)

وقال الإمام الزمخشري : " هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة ". (5)

"ثالثاً : مفهوم التغيير":

(1) - ينظر : محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 6 / ص 251، و ابن مظور، لسان العرب، ج 2 / ص 383. -

(2) ينظر : علي احمد مذكور، منهج التربية في تصوير الاسلامي، ص 38.

(3) ينظر : ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2 / ص 517.

(4) ينظر : البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، ج 10 / ص 331.

(5) ينظر : الزمخشري، الكشف، ج 1 / ص 62.

1 - التغيير في اللغة:

التغيير في اللغة من أصل جذر (غير) فالغين والياء والراء هي أصلا صحيان يدل أحدهما على صلاح والإصلاح والمنفعة⁽⁶⁾.

والغيرة : الاسم من التغيير ليس بمصدر، إذ ليس له فعل ثلاثي غير مزيد، وغير عليه الأمر أي جدله، وغير الدهر : أحواله المتغيرة⁽⁷⁾.

التغيير : كالتصريف وهو عند أهل البلاغة و البلغاء أن يحول الشاعر لفظا عن صورته الأصلية إلى صورة أخرى كي يستقيم وزن البيت أو القافية⁽⁸⁾.

2 - التغيير في الاصطلاح :

يختلف مصطلح التغيير وذلك من اختلاف مجالاته فتارة يأتي بالمفهوم الاجتماعي، وتارة بالمفهوم الاقتصادي، وتارة بالمفهوم السياسي، ويختلف المفهوم الاقتصادي عن المفهوم السياسي وكذلك الثقافي، وإما أن يكون تغييراً إيجابياً أو سلبياً .

التغيير : يقال على وجهين : أحدهما : كتغيير صورة الشيء دون ذاته، يقال غيرت داري أي بنيتها بناء غير الذي كان، والثاني : كتبديله بغيره نحو : غيرت غلامي ودابتي إذا أبدلتها بغيرها : نحو ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : 11] .⁽⁹⁾

وقال ابن عطية الأندلسي : "التبديل يقع موضعه التغيير وإن كان التغيير أعم منه وملاك هذه الآية : ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء : 119] ، أن كل تغيير ضار فهو في الآية وكل تغيير نافع فهو مباح " ⁽¹⁰⁾.

المبحث الثاني

منهج الإصلاح والتغيير العقدي في سورة الفتح

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : التوحيد وتعزيز الإيمان بوعده الله .

المطلب الثاني : الطاعة المطلقة لله ورسوله .

(6) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 4 / ص 403.

(7) ينظر: ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج 2 / ص 441.

(8) ينظر: محمد علي التهاوني، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 1 / ص 490.

(9) ينظر : الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج 1 / ص 619.

(10) ينظر : ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2 / ص 114 – 115.

المطلب الأول

التوحيد وتعزيز الإيمان بوعده الله

يؤكد الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح على أهمية انفراده في العبادات واليقين بوعده، إذ يُظهر تأييده للمسلمين المخلصين الذين يثبتون في الشدائد. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، في إشارة إلى بيعة الرضوان، حيث بايع المسلمون رسول الله ﷺ على الموت وعدم التراجع. وبيّن الله أن هذه البيعة ليست مجرد عهد بشري، بل هي بمثابة ميثاق مع الله نفسه، مما يؤكد أهمية الالتزام بها. كما يبين أن من لم يبايع فإنما يضر نفسه، بينما من يلتزم بالبيعة فإن الله يعده بأجر عظيم⁽¹¹⁾.

كما تأكد رضا الله عن المؤمنين في بيعة الرضوان في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: 18]، مما يجلى عظيم شأنهم عند الله، إذ أنزل عليهم السكينة، وهو ما كان بمثابة تأييد إلهي لهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التأييد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 4]، حيث أنزل السكينة في قلوبهم لمواجهة الأزمات بثبات، مما زادهم قوة و يقيناً بوعده الله. ⁽¹²⁾ أما وعد الرحمن بالفوز، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: 20]، مشيراً إلى أن الغنائم التي وعد بها الص

حابة قد تأخرت ظاهرياً، إلا أنها كانت في علم الله مقدرة لهم في الوقت المناسب. ⁽¹³⁾

كذلك، أكد الرب أن النصر يشمل الفتح الدنيوي و الفوز الأخروي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح: 5]، وهو وعد بتحقيق النصر الحقيقي الذي يشمل مغفرة الذنوب ودخول الجنة. يبين الله تعالى في هذه الآية: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: 27]، أنه قد صدق رسوله الكريم ﷺ في الرؤيا التي أراه إياها. ⁽¹⁴⁾

⁽¹¹⁾ ينظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق

الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 2000م / ص 792 – 793

⁽¹²⁾ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7 / ص 304.

⁽¹³⁾ ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، ج 21 / ص 279.

⁽¹⁴⁾ ينظر: القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ج 16 / ص 264، و القشيري، لطائف الإشارات، ج 3 / ص 431

المطلب الثاني

الطاعة المطلقة لله ورسوله

تؤكد القرآن الكريم في سورة الفتح على أهمية الطاعة المطلقة لله ورسوله باعتبارها أساس للإصلاح العقدي، إذ تثبت النصر والتمكين، وتعزز ارتباط بالعقيدة الصحيحة، لا سيما في أوقات الصعوبات مثل صلح الحديبية. ومن الآيات التي تتحدث عن هذا المفهوم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 17]، حيث تشير هذه الآية إلى أن الطاعة المطلقة سبيل للفلاح في الدنيا والآخرة ومخالفة أوامر الله وترك الجهاد سبب لخزي في الدنيا والآخرة، وأن الإصلاح العقدي يحتاج إلى الإيمان القوي وتطبيق أوامر الله دون تردد. (15)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَئِذٍ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10]، الآية تشير إلى أهمية دور الطاعة الجماعية في تعظيم الالتزام بالعقيدة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: 28]، حيث تؤكد الآية أن الطاعة الصادقة تؤدي إلى إظهار الدين الحق. (16)

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 8-9]، يأمر الله تعالى في هذه الآية الرسول ﷺ والمسلمين بالإيمان به وبما جاء به نبيه. وذهب الآخرون إلى أن الخطاب موجّه إلى الناس كافة ليؤمنوا. {وتعزروه}: أي تظهروا الله ورسوله ﷺ، وتقدموا لهما الإعانة بكل الوسائل، مما ينصر الإسلام ويقويه {وتوقروه}: أي تعظموا الله وتتصروه، وقد يعود الضمير إلى الله تعالى، كما يمكن أن يعود إلى رسوله ﷺ، بمعنى إتباعه وتأيدته {وتسبحوه}: أي تظهروا الله عن شريك وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى، ويمكن أن يُفسر التسبيح أيضًا بالتوحيد، {بكراً وأصيلاً}: أي في جميع الأوقات. مما يؤكد ضرورة تمجيد محبة الله ورسوله على كل شيء، الآية تشير إلى أن الصحابة أشد الناس توقيراً وإجلالاً للنبي ﷺ وتقوموا بحقوقه (17).

(15) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7/ ص314 - 315، و ينظر: الفشيري، لطائف الإشارات، ج3 / ص422.

(16) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج21 / ص217، و ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج4 / ص346.

(17) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7 / 305 - 306 و ينظر: الزحيلي، تفسير المنير، ج26/ ص161.

المبحث الثالث

منهج الإصلاح والتغيير الاجتماعي والأخلاقي في سورة الفتح

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : الإصلاح الأخلاقي في السلوك والمعاملات .

المطلب الثاني : الإصلاح الاجتماعي عبر التضامن والوحدة .

المطلب الأول

الإصلاح الأخلاقي في السلوك والمعاملات

توضح القرآن الكريم في سورة الفتح أهمية الإخلاص بالعهد باعتبارها أساساً متيناً للعلاقات بين الناس، حيث يقول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثُّهُ عَلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: 10]. تبين هذه الآية أن الالتزام بالعهد ليس مجرد ارتباط دنيوي، بل هو واجب ديني يترتب عليه الأجر العظيم من الله. تُبرز الآية أن تأييد الله ونصره لدينه ولرسوله ﷺ أكبر من أي جهد يبذله المسلمون في سبيل نصرته دين الله. كما تؤكد أن الأحداث لا تتوقع إلا بمشيئة الله وقدرته تعالى و هو الفاعل الحقيقي، كما جاء في قوله تعالى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [الأنفال: 17]. أما من لا يلتزم بالعهد، فإنما يعود ضرر نكثه عليه وحده ولا ينفذ على دين الله، والله غني عن العالمين.⁽¹⁸⁾

كما أن قيمة الصدق تُظهر أيضاً في تصديق الله لوعده لرسوله ﷺ بتنفيذ الرؤيا ودخول مسجد الحرام معتمرين، كما جاء في قوله تعالى : (لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) [الفتح: 27]. توضح الآية أن الله سبحانه وتعالى صادق الوعد مع عباده الصادقين على الرغم من الصعوبات.⁽¹⁹⁾

تبين التسامح في تعامل الرسول ﷺ مع زعماء القریش خلال صلح الحديبية، حيث وافق على شروط تبدو في ظاهرها محجفة بالمسلمين كانت موضع الرضا والقبول من النبي ﷺ بهدف تحقيق مصلحة أعظم على المدى البعيد. و في قوله تعالى : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) [الفتح: 1]، مما يدل على أن صلح الحديبية كان نصراً عزيزاً، كما تبين في قول النبي ﷺ حيث قال: انزل علي آية أحب الي من الدنيا وما فيها.

⁽¹⁸⁾ ينظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 7 / ص 305 ، و ابن عاشور، التحرير و التنوير ، ج 26/ص 173 .

⁽¹⁹⁾ ينظر : عبد الكريم القشيري ، لطائف الإشارات ، ج 3 / ص 422

أما ضبط النفس، فقد استبان في مواقف الصحابة أثناء الصلح مع قريش، حيث إستجابوا لأوامر النبي ﷺ على الرغم من الشعور بالقلق من شروط قريش. يقول الله تعالى : ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27]، مشيرًا إلى القدر الإلهي في هذا الاتفاق، وأن النبي ﷺ أخبر أصحابه بأنه رأى في منامه أنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين، محلقين رؤوسهم ومقصرين.⁽²⁰⁾

المطلب الثاني

الإصلاح الاجتماعي عبر التضامن والوحدة

سورة الفتح تتضمن مبادئ الإصلاح الاجتماعي، حيث بيّن أهمية التضامن والوحدة، لا سيّما عبر بيعة الرضوان و صلح الحديبية ، اللذان أظهرتا صلابة الأمة الإسلامية عندما توحد أفرادها تحت راية العقيدة الصحيحة والقيادة الحكيمة.

الإصلاح الاجتماعي أساس لبناء مجتمع قائم على المساواة و التضامن، وفقاً لمبادئ الإسلام التي تدعو إلى الطاعة و التعايش والتأزر والتسامح من أجل تثبيت الاستقرار والأمن. وتعتمد الوحدة والتضامن على توقيف العلاقة بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى بناء مجتمع حضاري متطور، مثل المجتمع الإسلامي الأول الذي أسسه النبي محمد ﷺ في المدينة، حيث كانت قيم الأخوة والتكافل أساساً لنجاحه واستمراره ، يشير القرآن الكريم إلى أن بقاء الأمم ونجاتها مرتبطة بوجود المصلحين الذين يعملون على إصلاح المجتمع ونشر العدل، كم جاء في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117]. وتؤكد الآية أن الله لا يدمر القرى بسبب الشرك وحده، بل عند إنضمام الشرك مع الفساد في الأرض، كما حصل مع قوم مدين بسبب الغش في المكيال والميزان، ومع قوم لوط بسبب شذوذ جنسي. وهذا يدل على أن معصية الله تسرّع وقوع العذاب في الدنيا، بينما يكون إنتقام الشرك أكبر في دار الآخرة .

يؤكد قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10]. على أن الصحابة الذين بايعوا النبي ﷺ في بيعة الرضوان على الموت وعدم الفرار خلال مواجهة العدو، في الحقيقة، كانوا مبايعتيهم لله تعالى ، مما يوضح أهمية الالتزام بالطاعة والولاء لولي الأمر باعتبارهما من دعائم .

القرآن الكريم يسلط الضوء على أهمية الإصلاح و المصلحين الذين يخطيطون منهج الإصلاح والتغيير لجميع الأجيال في كل زمان ومكان، كما فعله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال يجيب الحفاظ على أراضي سواد العراق وعدم تقسيمها على المجاهدين، و جعلها خراجاً في خزينة الدولة لجميع الأجيال

(20) ينظر : الطبري ، جامع البيان، ج 21 / ص240 و ص 317 ، و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7 / ص304.

المسلمين، و إستدل بقوله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} [الحشر: 10]. (21)

المبحث الرابع

منهج الإصلاح والتغيير التربوي في سورة الفتح

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : صفات النبي ﷺ وأصحابه .

المطلب الثاني : دور الطاعة والولاء للنبي ﷺ ، في تحقيق الإصلاح والتغيير التربوي وفق منهج سورة الفتح.

المطلب الأول

صفات النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه

اختتمت سورة الفتح بالحديث عن صفات النبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام، وهذا ختام بديع، كل إنسان يسعى للإصلاح إذ إن غايته هو النجاح والفلاح. فعبر هذه الصفات، يستطيع الفرد أن يصلح ذاته، وينعكس ذلك على مجتمعه، فيصبح الفرد منضبطاً في المجتمع الذي يعيش فيه و ليصبح جزءاً فاعلاً فيه. فإن مميزات الصحابة الحسنة قد كتبت لهم الفلاح في الدنيا والآخرة، فهو فلاح مؤمن فرد و جماعة، والذي يشمل ما يعرفه الناس وما لا يعرفه من معاني الفلاح، فما وفره الله لعباده المؤمنين.

قال الله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]. هذه الآية الكريمة تؤكد وعداً إلهياً ثابتاً بانتصار النبي ﷺ وأصحابه و فلاحهم في الدنيا والآخرة. إذ يتوضح هذا الفلاح في سلوك الأفراد وفي نهوض الأمة الإسلامية، حيث أنجز التوازن بين الشدة في مواجهة الأعداء، والرحمة فيما بينهم، والخشوع في العبادات. (22)

سمات الرسول محمد ﷺ وأصحابه كما وردت في الآية:

(21) ينظر: القرطبي، جامع لإحكام القرآن، ج 9 / ص 114، و ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج 28 / ص 96 – 97.

(22) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 4 / ص 2453.

- 1 - التصديق والاتباع الصادق: تشير قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، إلى رفعة النبي ﷺ بعد تحقق رؤياه الصادقة، أي أنه حق رسول من الله و صاحب رسالة سماوية، وأصحابه هم الذين آمنوا به ونصروه و اتبعوه بإخلاص.
- 2 - أشداء مع الكفار ورحماء بالمؤمنين: قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، أي أنهم يتصرفون بالصلابة و الشد في مواجهة الأعداء، بينما رحماء بينهم متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد في محبتهم وإخائهم، وعد الله بكمال المحبة والتسليم بسبب إخلاصهم.⁽²³⁾
- 3 - الخشوع و التواضع في العبادات: ولقد أخبر المولى سبحانه وتعالى في قوله: ﴿تَرْبُهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، عن كثرة صلاتهم و استمرارهم عليها، فهم لا يريدون إلا رضا الله تعالى والفضل منه، ودخولهم الجنة، لكثرة عباداتهم استنارت وجوههم فتكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر، وتظهر آثار عبادتهم على سيماهم و أخلاقهم.
- 4 - العلامة المميزة على وجوههم: ولقد كان الصحابة يسجدون على الطين لا على الأثواب فتري أثر التراب على جباههم، ودليل على كثرة سجودهم و خشوعهم و تواضعهم، كما قال تعالى: ﴿سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، وهو أيضاً إشارة إلى النور الذي يتلأأ من وجوههم في الآخرة، كما يشير إلى التواضع والوقار والسكينة في الدنيا.
- 5 - إزدهار و النمو مثل الزرع: ضرب الله مثلاً لأصحاب نبي محمد ﷺ في التورات والإنجيل أنهم يكونون قليلاً، ثم يكثررون وينمو تدريجياً ليصبح قوياً شامخاً يأمررون بالمعروف و ينهون عن المنكر، فهم مثل النبات الذي أخرج أغصانه التي تتولد عن الأصل، فقوت تلك الفروع أصولها و جعلتها مكيئة راسخة في الأرض، وقوت أساسه و قواعده كما قال تعالى: ﴿كَزَّرَعُ أُخْرَجَ شَطْأُهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾، و الآية توضح إزدهار المسلمين من الضعف إلى القوة، ومن القلة إلى المجتمع و الدولة العظيمة.
- 6 - وعد من الرب سبحانه وتعالى بالتسامح و أجر كبير: وعد من الباري سبحانه وتعالى بفضله وإحسانه بالتجاوز عن المعصية و الذنوب و بالثواب العظيم في الآخرة لمن التزم بالتوحيد و العقيدة الصحيحة

⁽²³⁾ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 26، ص 202-210، و نعمة الله بن محمود النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1999م، ج 2 / ص 339.

والعمل الصالح، وهم أهل بيعة الرضوان، ومن كان على شاكلتهم في قوة الإيمان، كما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.⁽²⁴⁾

المطلب الثاني

دور الطاعة والولاء للنبي ﷺ في تحقيق الإصلاح والتغيير التربوي

تؤكد القرآن الكريم عمومة و سورة الفتح خصوصاً على أهمية الطاعة والولاء للرسول محمد ﷺ في تحقيق الإصلاح التربوي، لأن التربية حاجة إنسانية لا بد منها من أجل بقائه وبناء الأجيال وتطورها، وترسيخ القيم الأصلية وصالح الأخلاق والنفوس، وللتربية منهجها الكامل وطريقتها المتميزة في بناء الإنسان الصالح روحياً وخلقياً ونفسياً وعقلياً وجسمياً واجتماعياً ليكون إنساناً متوازناً سوياً ومواطناً قادراً على النهوض بمجتمعه على أساس علمي وعمل مستقيم، وترسيخ مبادئ الإيمان والالتزام بشريعة الله، مما يؤدي إلى النصر والتوفيق والهداية.

تتركز عدة آيات من سورة الفتح على أهمية الطاعة والولاء للنبي محمد ﷺ، منها: قوله تعالى: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 9]. أي تؤيد دين الله و تعظمه و تسبحوه دائماً وتعظيم النبي ﷺ وإجلاله، مما يوضح الطاعة الكاملة والولاء الصادق له. فالتوقير للرسول محمد يعني إتباعه وإتخاذه أسوة و احترامه والالتزام بتعاليمه، بينما التسبيح لله بكرة وأصيلاً دليل على الإيمان الدائم والطاعة الدائمة، وهذا يحتمل نوعين: أحدهما: أن تكون الأمور الأربعة المذكورة مرتبة على الأمور المذكورة من قبل، وثانيهما: أن يكون كل واحد مقتضياً للآخر الأربعة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18]. في الآية إشارة إلى أن مبايعة المسلمين للنبي ﷺ بمثابة مبايعتهم لله، مما يدل على أن الولاء والطاعة لرسول الله مرتبطان بطاعة الله عز وجل ارتباطاً وثيقاً، كما بين الله تعالى في قوله: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠]، رضا الله ليس عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم وأن رضا الرب عن

⁽²⁴⁾ ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (إحياء التراث)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الإحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، ج 4 / ص 245، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج 13 / ص 288 - 290. و ينظر: القرطبي، جامع لإحكام القرآن، ج 16 / ص 292 - 293.

المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ، مما يؤكد أن طاعة النبي هي جوهر الإيمان بالله، وطاعة الصحابة للنبي سبب لرضا الله ومغفירתه لهم ودخولهم الجنة.⁽²⁵⁾

توضح سورة الفتح أن الطاعة والولاء الصحابة للنبي ﷺ وإتخاذهم قدوة حسنة في ضوء بيعة الرضوان و الصلح الحديبية دليل واضح على صدق الإخلاص و الإيمان، تعد القدوة الحسنة أفضل أساليب التربية وأقربها إلى النجاح⁽²⁶⁾.

المبحث الخامس

منهج الإصلاح والتغيير السياسي في سورة الفتح

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : التعامل مع قوّة المعارضة.

المطلب الثاني : أسباب النصر

المطلب الأول

التعامل مع القوة المعارضة

واجه الرسول محمد ﷺ و المسلمون المعارضة والصعوبات من عدة جهات عند اتفاقية صلح الحديبية، كما وردت في سورة الفتح، أهمها قريش التي رفضت دخول النبي ﷺ والصحابة مسجد الحرام، والمنافقون الذين شككوا في منفعة هذا الصلح، والأعراب المتخلفون الذين تحججوا بحجج واهية لعدم مشاركتهم. بالإضافة إلى المعارضة النزيهة من بعض المسلمين على البنود غير الملائمة للمسلمين في نصرتهم في صلح الحديبية.

تحدث سورة الفتح عن موقف زعماء قريش في منع النبي ﷺ وأصحابه دخول مكة لأداء العمرة كما جاء في قوله تعالى : ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ [الفتح: 25]. تشير الآية إلى أن قريش منعت الرسول محمد وأصحابه من دخول مكة لأداء العمرة، على الرغم من أنهم جاؤوا لزيارة مسجد الحرام لا يريدون المواجهة والحرب، بل يريدون السلام وتعظيم البيت وحاولوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى الصلح والمهادنة.⁽²⁷⁾

(25) ينظر: الطنطاوي ، تفسير الوسيط ، ج 13 / ص 265 – 266.

(26) ينظر: السعدي ، تيسير الكريم الرحمن / ص18

(27) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 7 / ص 301 و 319.

وقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: 11]. يكشف أعداء المنافقين، الذين خلفهم الله في أهلهم وأموالهم عن صحبة النبي ﷺ والخروج معه في سفره إلى مسجد الحرام زائراً له، إذ برروا تخلفهم عن الخروج مع النبي ﷺ وأصحابه بانشغالهم بأمورهم من معالجة الأموال وإصلاح المعيشة، في حين أن قولهم هذا يخالف ما في قلوبهم والسبب الحقيقي كان خوفهم من قتال المشركين ومواجهتهم لضعف إيمانهم بوعده الله ونصره. فإنهم قالوا النبي ﷺ وأصحابه ضعفاء أمام قريش ولا يستطيعون مواجهة أهل مكة. (28)

أما المعارضة النزيهة ؛ فظهرت بين المسلمين معارضة شديدة بعد عقد الهدنة بين المسلمين والمشركين على بعض شروط الهدنة التي تبدو في ظاهرها مجحفة بالمسلمين. (29)

وبعد منع المسلمين دخول مكة لدى المشركين وإبلاغ النبي ﷺ أن عثمان بن عفان قُتل دعا النبي ﷺ أصحابه إلى مبايعته على مواجهة قريش، ومناجزتهم، فبايعوه على نصرته و مناجزة قريش الحرب ولا يولوهم الأدبار، هذا الموقف الشجاع من الصحابة وحكمة النبي أجبر قريش إلى عقد الصلح مع النبي ﷺ ، وقد أكدت سورة الفتح على أن هذا العقد كان خطوة إستراتيجية مهدت لفتح مكة ونشر الدعوة بحرية وتغيير موقف قريش من النبي ﷺ أصحابه . كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: 1].

و فضحت السورة تردد المنافقين الذين تخلفوا عن مرافقة النبي ﷺ في الحديبية، ثم أرادوا المساهمة في فتح خيبر من أجل الحصول على الغنيمة طمعاً فيه، يقول الله تعالى : ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا دَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح: 15]. وفي قوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18]. أكدت سبحانه وتعالى على دعمه للنبي ﷺ أصحابه حتى في مواجهة أشد الصعوبات، كما تبين ذلك فيبيعة الرضوان، إذ بايع الصحابة النبي ﷺ على الثبات والتضحية. (30)

أما المعارضة النزيهة؛ فذهبت مجموعة من الصحابة إلى النبي ﷺ بينهم عمر بن الخطاب لمراجعته، وإعلان معارضتهم، ولكن النبي ﷺ بحكمته وتسامحه وإحترامه لهذه المعارضة النزيهة وبما أعطاه الله من صبر، وحكمة، وحلم، وبُعد نظره حسم الخلاف وإستطاع أن يقنع المسلمين المعارضين بنزاهة الصلح، وأنه في صالح المؤمنين وأساساً متيناً يمكن أن يبنى عليه المستقبل العظيم الذي يرجوه للمسلمين عما قليل من الزمان، وأنه نصر للمسلمين والله تعالى سيفتح مخرجاً للمسلمين المستضعفين. منهجيات الإصلاح والتغيير في التعامل مع القوة المعارضة:

(28) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 1 / ص 2456 .

(29) ينظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج 2 / ص 379 .

(30) ينظر: ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 26 / ص 173.

- 1 - اعتمد رسول الله ﷺ على الحوار والتفاوض المباشر مع المشركين في صلح الحديبية، على الرغم من وجود المعارضة النزيهة من بعض الصحابة و المعارضة الداخلية من الأعراب والمنافقين .
- 2 - تفضيل النبي ﷺ مبدأ العفو والتسامح و المصالحة عبر معاهدة الحديبية، عُقدت هذه المعاهدة في الوقت الذي كان فيه المسلمون بمركز القوة، لا الضعف من أجل إحلال السلام وحقق الدماء.
- 3 - ركزت سورة الفتح على أهمية القدوة العملية و تعزيز وحدة الصف و التماسك الداخلي بين المؤمنين، وترك التفرقة بينهم.⁽³¹⁾

المطلب الثاني

أسباب النصر

قال الله تعالى :

﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 3-4]

لقد افتتحت سورة الفتح الكريمة ببيان البشرى من الله تعالى للنبي محمد ﷺ بالفتح و بنصر قوي وعزيز، ويؤكد هزيمة المشركين، و إزاحة الشرك ويرفع شأن الدين و تكميل النفوس الناقصة قهراً بالتدريج والاختيار، وعد الله بالنصر، ولقد بين الله تعالى وجه النصر؛ لأنه قد ينصر رسله بصيحة يدمر بها أعدائهم، أو رجة تحكم عليهم بالفناء، أو جنود يرسله من السماء، أو نصر و قوة وثبات قلب يرزق المسلمين به. وقد كان الله سبحانه هو من أنزل الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين وقرن السكينة بقلوب المؤمنين فيه إشارة إلى أن الإيمان من عمل القلب والله يعلم كل شيء، ليبقوا صامدين في وجه الصعوبات. بهذه السكينة ازدادوا ثقتهم بوعده الله في نصره، مما قوى إيمانهم القلبي والعلمي.⁽¹⁾

إن الله تعالى قد مكن لعباده المؤمنين، وذلك بأن أنعم عليهم بنعمة السكينة والطمأنينة لتلك الهدنة مع أهل مكة لتحقيق الثبات و القوة الداخلية، والسكينة كعامل من عوامل النصر تتمثل في : في استقرار القلوب وعدم اضطرابها في مواجهة المصاعب، و الوفاق و الإيمان بوعده الله بأن النصر قادم لا محاله.⁽³²⁾ أكدت سورة الفتح أن الله يثبت المؤمنين بإيمانهم، وكثر تصديقهم، فلما آمنوا بالتوحيد زادهم الله العبادات شيئاً بعد شيء بشكل تدريجي، ويزيدهم قوة بفضل طاعتهم له وتصديقهم بوعده، كما قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ

⁽³¹⁾ ينظر: الصلابي ، السيرة النبوية ، ج 2 / ص 379 ، و ينظر: ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، المحقق: محمد أبو فضل إبراهيم ، الناشر: دار المعرفة بمصر، ج 2 / ص 634 .

⁽³²⁾ ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 5 / ص 126

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة: 3]. فأعطاهم الله تعالى أكمل إيمان أهل السماوات والأرض، وثبت نفوسهم بأن تكون مؤمنة؛ لأنه تعالى ينصر متى يشاء، و على أي صورة شاء مما لا يستطيع الإنسان تدبيره، فمن جنده السكينة التي أنزلها في قلوب المؤمنين فتسكن أبصارهم. (33)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعه إلى يوم الدين وبعد:

فأنني أحمد الله تعالى الذي أعانني و وفقني لكتابة هذا البحث وصولاً إلى خاتمته، وأشكره سبحانه وتعالى أن هداني إلى تناول موضوع هام من موضوعات كتابه العظيم والكتابة فيه، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الشكر من قبل ومن بعد، وأسأله تعالى أن يتقبله مني عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل فيه الخير لي و للمسلمين عامة، ولطلبة العلم خاصة.

وفي نهاية هذا الجهد المتواضع خرجت بمجموعة من النتائج و التوصيات، أذكر أهمها في ما يلي:

أولاً: نتائج البحث:

- 1 – إن من أهم أساليب الإصلاح و التغيير ؛ هو المحافظة على أداء العبادات والواجبات، والالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى ، والصبر والثبات أمام الأزمات والإيمان بنصر الله.
- 2 – المحور الأساس لسورة الفتح هو الإيمان بنصر الله ومغفرته و نعمته.
- 3 – أهم أهداف سورة الفتح متمثلة في : الإيمان بوعد الله والتوكل عليه والالتزام بالوفاء والولاء لله ورسوله ﷺ .
- 4 – منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي في سورة الفتح متمثلة في : الإيمان بالله ورسوله و تعظيمهما، وتحقيق وعد الله، والإخلاص في النية والعمل لله.
- 5 - منهجيات الإصلاح والتغيير الاجتماعي والأخلاقي في سورة الفتح متمثلة في: تعزيز الوحدة والتضامن ، وإصلاح السلوك والمعاملات.
- 6 - منهجيات الإصلاح والتغيير التربوي في سورة الفتح متمثلة في: دور الطاعة و الولاء للنبي في تحقيق الإصلاح و التغيير التربوي و صفات النبي وأصحابه و فضل الله على النبي وأصحابه.

(33) ينظر : الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج 28 / ص 67 - 68 . و ينظر : ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج 5 / ص 127 .

7 - منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي في سورة الفتح متمثلة في: أسباب النصر، والمبايعة لله ورسوله، والتعامل مع قوة المعارضة، وظهور الإسلام على الدين كله.

ثانياً: التوصيات:

- 1 - أوصي الباحثين وطلاب العلم بالاهتمام بموضوعات القرآن الكريم المختلفة، والبحث في كافة المجالات حيث إن القرآن الكريم زاخر بموضوعات قيمة تخدم مجتمعنا الإسلامي وتعالج قضاياها المختلفة، فالقرآن الكريم وضع منهجيات متنوعة في كافة المجالات العقدية، والأخلاقية، والاجتماعية، والتربوية، والسياسية، فلا بد من التبحر فيه لاستنتاج هذه المنهجيات.
 - 2 - أوصي ولاية الأمور أن يلتزموا في سياستهم تعاليم القرآن الكريم ومنهجياته الربانية في حكمهم للبلاد، ورعايتهم للعباد.
 - 3 - أوصي الدعاة على التركيز في حثهم الناس على الالتزام بهذه المنهجيات القرآنية في حياتهم، فما زال الناس في حاجة كبيرة للقرآن الكريم فهو الوحيد القادر على إحياء النفوس، وشرح الصدور، وبه تطمئن القلوب، وتحل مشاكلهم، وتسعد حياتهم.
- فهذه جهد متواضع بذلت فيه كل ما في وسعي، للخروج بما يخدم الإنسان والمسلمين، ويساعدهم على فهم دينهم، وحل ما يعترضهم من خلافات في حياتهم، وقد حرصت أثناء البحث فيه أن أتجنب الخطأ ما استطعت، فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وأعوذ بالله من كل خطأ وأستغفره من كل زلل، والله الهادي إلى سواء السبيل.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث: مصطفى محمد علي عزيز

المصادر والمراجع

- 1 - سعيد بن علي وهف القحطاني، رحمة للعالمين محمد رسول الله سيد الناس أجمعين نبي الرحمة، الرحمة والمهداة خاتم المرسلين- نشأته، وأخلاقه، ومعجزاته، الطبعة: الثامنة، 2006م .
- 2 - محمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1948هـ.

- 3 – أبو عبدالله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964م.
- 4 – ناصر الدين أبو سعيد البضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
- 5 – محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
- 6 – عماد الدين أبو فداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، وضع حواشيه و علق عليه: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ – 1998م.
- 7 – سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق – بيروت – القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، 1412هـ.
- 8 – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح المسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، القاهرة ، عام النشر: 1374هـ – 1955م.
- 9 – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: دكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركيبتعاون مع : مركز البحوث و الدراسات الإسلامية بدار هجر، دكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع والإعلان- القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2001م.
- 10 – محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، المحقق: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة- دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة، 1407هـ – 1987م.
- 11 – أبو عبد الله محمد بن عمر – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة 1420هـ.
- 12 – جمال الدين أبو فرج (ابن الجوزي)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- 13 – راغب السرجاني، السيرة النبوية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية : <http://www.islamweb.net>.

- 14 – عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1420هـ – 2000م.
- 15 – أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تفسير السمرقندي= بحر العلوم، تحقيق: دكتور محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر – بيروت.
- 16 – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ابن عطية)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- 17 – محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1997م – 1998م.
- 18 – نعمة الله بن محمود النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية و الحكم الفرقانية ، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419هـ – 1999م.
- 19 – دكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، الناشر: دار الفكر- دمشق، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- 20 – الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2001م.
- 21- محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين، إيجاز البيان عن معاني القرآن ، المحقق، الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة : الأولى، 1415هـ.
- 22 – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- 23 – محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في التفسير القرآن- تفسير البغوي، المحقق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
- 24- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين منظور الانصاري، (ت 711 هـ)، لسان العرب، الناشر درا الصادر بيروت الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
- 25- دكتور على احمد مذكور، منهج التربية في تصوير الاسلامي الناشر: النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع، درا النهضة العربية، بيروت، 1990م.

- 26- احمد بن فارس بن زكريا الرازي, أبو الحسين (ت 395 هـ), معجم مقياس اللغة, المحقق: عبدالسلام محمد هارون, الناشر, دار الفكر, عام النشر: 1979م.
- 27- برهان الدين البقاعي, نظم الدرر في تناسب الايات و السور, الناشر: دائرة المعارف العثمانية, حيدر آباد, الهند, الطبعة الاولى 1969 – 1984م.
- 28- محمد بن علي بن القاضي, محمد حامد التهانوي (1158هـ), موسوعة كشف اصطلاحات الفنون و العلوم, المحقق: دكتور علي دحروج, الناشر: مكتبة لبنان الناشرون- بيروت, الطبعة الاولى – 1996م.
- 29- ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت 502هـ), المفردات في غريب القرآن, المحقق صفوان عدنان الداودي, الناشر: دار القلم, درا الشامية – دمشق – بيروت الطبعة الاولى, 1412 هـ.
- 30- ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542 هـ), المحرر الوجيز في تفسير الكيتاب العزيز, المحقق: عبدالسلام الشافعي, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة الاولى -1422هـ.